

في تآكل الفاعلية الرمزية: "قراءة نقدية لعلاقة الإنسان بالخوارزمية في المجتمع الجزائري"

On the Erosion of Symbolic Agency: "A Critical Reading of the Human-Algorithm Relationship in Algerian Society"

روابع سامح^{*1}

¹ جامعة تيزي وزو- مولود معمري (الجزائر).

sameh.rouabah@ummto.dz

<https://orcid.org/0009-0008-4339-1220>

تاريخ الاستلام: 21-07-2025 تاريخ القبول: 19-04-2026 تاريخ النشر: 2026-05-19

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى تقديم قراءة نقدية لعلاقة الإنسان بالخوارزمية في المجتمع الجزائري أنموذجاً، من خلال مساءلة تآكل الفاعلية الرمزية تحت تأثير الذكاء الاصطناعي. وباستخدام المنهج السوسيولوجي النقدي، اعتمدت الدراسة على تحليل كيفي للمضامين الرقمية الشائعة على منصة تيك توك، بوصفها واجهة تمثل الخوارزمية بشكل يومي. تم استخدام أداة تحليل الخطاب الرمزي للمنشورات الأكثر تفاعلاً، بتطبيقها على عينة مكونة من 100 محتوى رقمي منشور خلال سنة 2024، من فئة "المؤثرين الشباب". تحققت النتائج التالية: تراجع تمثيلات الهوية العميقة مقابل تصاعد "أداء الذات" من أجل الخوارزمية؛ تحول الحضور الرمزي إلى سلعة قابلة للتقييم اللحظي؛ وإضعاف الفضاء العام كفضاء حوار لصالح التكرار الخوارزمي. توصي الدراسة بضرورة تطوير سوسيولوجيا رقمية عربية ناقدة، تستوعب التحولات وتعيد تمركز الإنسان.

كلمات مفتاحية: الذكاء الاصطناعي؛ الخوارزمية؛ المجتمع الجزائري؛ الفاعلية الرمزية؛ تيك توك

Abstract:

This research aims at offering a critical reading of the human–algorithm relationship, using Algerian society as a case study, with a focus on the erosion of symbolic agency under the pressure of artificial intelligence. Using the critical sociological method, the study applies a qualitative analysis of digital content on TikTok, a platform that embodies algorithmic behavior in everyday life. The tool that was used is symbolic discourse analysis, applied to a purposive sample of 100 highly engaging digital posts created by young influencers in 2024. The following results were obtained: a noticeable decline in deep identity representation; the dominance of self-performance strategies tailored to the algorithm; the commodification of symbolic presence; and the weakening of the public sphere in favor of algorithmic repetition. The study recommends the development of a critical Arab digital sociology capable of addressing such transformations and re-centering the human subject.

Keywords: Artificial Intelligence; Algorithm; Algerian Society; Symbolic Agency; TikTok

المؤلف المرسل.

مقدمة:

مع توغل الذكاء الاصطناعي في تفاصيل الحياة اليومية، لم يعد الإنسان محاطاً بالآلة فحسب، بل بات مُعاد تشكيل وجوده الرمزي ضمن بنى خوارزمية تنتج المعنى، وتتحكم في إظهاره، وتعيد تعريف الفاعلية الاجتماعية من خارج إرادة الذات ومنظومتها الرمزية. لم يعد السؤال المطروح مقتصرًا على قدرة الإنسان على السيطرة على الأدوات الرقمية، بل تحوّل نحو كيف أصبحت هذه الأدوات تُعيد هندسة التمثيلات، وتُفرغ الرموز من حمولاتها القيمية، وتُعيد ترتيب الوعي الجماعي وفق منطق الأداء والتفاعل اللحظي؟ إن موضوع هذا البحث ينبثق من لحظة تشظّي رمزي تعيشها المجتمعات العربية، وفي مقدمتها المجتمع الجزائري، حيث تظهر منصّات التواصل الاجتماعي، وعلى رأسها تيك توك، كساحة مركزية يتصارع فيها الإنسان والخوارزمية على معنى الوجود وشرعية التمثيل. بهذا المعنى، فإننا أمام لحظة سوسيولوجية فارقة، تستدعي إعادة مساءلة العلاقة بين الإنسان كذات فاعلة، والخوارزمية كمنظومة مهيمنة على الإنتاج الرمزي.

من هنا تطرح هذه الدراسة الإشكالية التالية: إلى أي مدى أدى تصاعد الذكاء الاصطناعي وتوسّع حضوره في الحياة الرقمية إلى تأكل الفاعلية الرمزية للإنسان في المجتمع الجزائري؟ وكيف يُعاد تشكيل العلاقة بين الذات والخوارزمية ضمن سياق سوسيوثقافي يعاني من هشاشة في البنى الرمزية التقليدية؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية، تم اقتراح الفرضيتين الآتيتين:

1. الفرضية الأولى: تؤدي الخوارزميات الذكية، من خلال إعادة تشكيل آليات التفاعل والتصنيف والظهور، إلى تحييد الفاعلية الرمزية للفاعل الاجتماعي التقليدي.
2. الفرضية الثانية: تُنتج المنصات الرقمية من خلال خوارزميتها نسقًا جديدًا من "الفاعلية الظاهرية" يقوم على الأداء لا المعنى، وعلى التفاعل لا العمق، مما ينعكس سلبيًا على إمكانات التعبير الرمزي في المجتمع.

يهدف هذا البحث إلى تقديم قراءة نقدية سوسيولوجية معمّقة لعلاقة الإنسان بالخوارزمية، من خلال دراسة حالة المجتمع الجزائري أنموذجًا، مع التركيز على تأكل الرموز، هشاشة التمثيلات، وانكماش المجال العام، وقد تمّ اعتماد المنهج السوسيولوجي النقدي، بالاستناد إلى أدوات التحليل الكيفي للمحتوى، خصوصًا عبر تحليل مضامين تيك توك من حيث البُعد الرمزي والتمثيلي، وبالاعتماد على أداة تحليل الخطاب الرمزي لعينة من المحتوى المنشور سنة 2024.

بهذا التوجّه، تسعى الورقة إلى الإسهام في بلورة سوسيولوجيا رقمية عربية ناقدة، قادرة على مساءلة تحولات الفاعلية والمعنى والتمثيل داخل مجتمع يعيد الخوارزميات ترتيب رموزه.

1.. في مفهوم الفاعلية الرمزية وتحولاتها في العصر الرقمي:

يُعدّ مفهوم الفاعلية الرمزية من المفاهيم المركزية في الفكر السوسيولوجي المعاصر، لما يُجسّده من قدرة الإنسان على التأثير في العالم الاجتماعي لا من خلال القوة المادية، بل عبر الرموز والمعاني التي يُنتجها ويُعيد إنتاجها. إنها الفاعلية التي تُمكن الأفراد من "تشكيل الواقع" وفق معايير ثقافية وقيمية، تُكسب الأفعال دلالة ومشروعية ضمن الحقول الاجتماعية المختلفة (بورديو، 1989، ص. 23).

غير أن هذه الفاعلية لم تكن دائماً ثابتة الشكل أو الوظيفة، بل خضعت لتحولات متلاحقة، لا سيما في العصر الرقمي. ففي حين كانت الرموز ترتكز في المجتمعات التقليدية على المعاني الموروثة والتمثيلات الجماعية المستقرة، فإن العصر الرقمي – بما يحمله من سرعة، وتدوير فوري للمعنى، واستبدال مستمر للرموز – فرض نمطاً جديداً من الفاعلية، أقل عمقاً وأكثر أدائية.

وفي ظل هذا التحول، لم يعد الفاعل يتحكم بالرمز بل صار هو نفسه مُعاد تشكيله داخل منطق الخوارزمية، حيث أصبحت فاعليته الرمزية مرهونة بخوارزميات الرؤية، والانتشار، وقابلية التفاعل، ما أدى إلى نوع من "تآكل المعنى" لصالح "تضخم الظهور".

من هذا المنظور، فإن دراسة تحولات الفاعلية الرمزية في العصر الرقمي لا تقتصر على وصف التغيرات التكنولوجية، بل تستوجب تفكيك البنية الجديدة للسلطة الرمزية، التي أصبحت موزعة بين الإنسان والآلة، بين الذات والوسيط، بين المعنى والبيانات، في مشهد سوسيولوجي غير مسبوق من التداخل والتنازع الرمزي.

وعليه، لم يعد المدخل الخوارزمي في هذا السياق مجرد وسيط تقني، بل أصبح فاعلاً بنوياً يُعيد صياغة شروط الفاعلية ذاتها، وفي محاولة لضبط هذا التحول إجرائياً، يرى الباحث أن الفاعلية الرمزية لم تعد تُعرف فقط بقدرة الذات على التأثير، بل بقدرتها على الحفاظ على الاستقلال الإدراكي والسيادة المعرفية، في مواجهة الضغوط البرمجية، وهو ما يؤكد تيريبيلي (Tiribelli, 2023) في دراسته حول "الوساطة الخوارزمية"، حيث يشير إلى أن الخوارزميات تمارس نوعاً من الوصاية التي تسلب من الإنسان قدرته على التأليف الذاتي لمعانيه، محولةً الرمز من قيمة أخلاقية أو جمالية ناتجة عن فاعلية بشرية حرة، إلى بيانات رقمية، قابلة للقياس والسلعة. هذا الانتقال من التفاعل الرمزي البشري إلى التوجيه الخوارزمي الآلي هو الجوهر الذي تقوم عليه أطروحة التآكل في هذا البحث؛ إذ أن ما يُنتجه الإنسان في المجتمع الجزائري عبر المنصات الرقمية لم يعد بالضرورة فعلاً رمزياً مستقلاً، بل هو استجابة لبروتوكولات تقنية تُفرغ الرمز من عمقه التاريخي لتعيد إنتاجه كنمط استهلاكي عابر.

إن ما يضيفه المدخل الخوارزمي لهذا التصور هو رصد عملية أتمتة المعنى، ففي حين كانت الفاعلية الرمزية قديماً نتاجاً لتفاعل إنساني بطيء وعميق (تراكمي)، أصبحت اليوم تُهندس عبر خوارزميات اقتصاد الانتباه التي تعمل على:

- نزع السيادة الإدراكية: حيث تُستبدل قدرة الفرد على التمييز والتقييم الرمزي بتوصيات خوارزمية مسبقة الصنع.

- سلعة الرمز: تحويل الرمز من قيمة أخلاقية أو جمالية إلى بيانات رقمية خاضعة للقياس (Likes/Shares)، مما يؤدي إلى تآكل الفاعلية البشرية لصالح الفاعلية التقنية.

وبذلك، فإن الجدة العلمية في هذا الطرح تكمن في كشف كيف تحول الإنسان الجزائري من فاعل ينتج رموزه الخاصة، إلى منفعل يعيد إنتاج المحاكاة الرقمية التي تفرضها عليه بيانات التواصل، وهو ما نسميه بالتآكل الرمزي.

ومثال ذلك؛ تحول الزي التقليدي الجزائري في الفضاء الرقمي من رمز للهوية يختزل الذاكرة الجماعية والوقار الاجتماعي، إلى إشارة خوارزمية (Algorithmic Signal) مجردة، فبينما كان ارتداء الشدة التلمسانية أو الكاراكو قديماً فعلاً رمزياً واعياً يُمارس في سياقات طقوسية عميقة، تحول في بيئة (تيك توك) إلى محتوى بصري نمطي يخضع لمنطق التحديات، هنا لا يرتدي المستخدم الزي ليمارس فاعليته الرمزية في التعبير عن ذاته، بل يستعرضه كاستجابة لبروتوكول تقني تفرضه المنصة (موسيقى محددة، مدة زمنية قصيرة، وزوايا تصوير تستهدف جلب الإعجاب)، في هذه اللحظة يتم تفرغ الرمز من حملته التاريخية والوجدانية ليصبح مجرد وسيلة لرفع معدل التفاعل، حيث تتحكم الخوارزمية في توقيت ظهوره وقابلية انتشاره، مما يحول الفاعل من منتج للمعنى الثقافي إلى منفعل يحاكي نمطاً برمجياً جاهزاً سعياً وراء الترنند.

1.1.. الفاعلية الرمزية "المفهوم والدلالات":

تُعَدّ الفاعلية الرمزية من المفاهيم الجوهرية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، لما تنطوي عليه من قدرة الفرد أو الجماعة على توليد المعنى، وتمثيل الذات، والتأثير في البنية الاجتماعية والثقافية انطلاقاً من رموز تُستمد من المخيال الجمعي والتاريخي، فالفاعل الرمزي ليس مجرد كائن بيولوجي يتفاعل ميكانيكياً، بل هو حامل لنسق من الرموز، يتوسط بها الواقع ويتفاعل من خلالها مع الآخرين داخل مجال مشترك من الدلالات.

في هذا السياق، يعتبر بيير بورديو (Pierre Bourdieu) أن الفاعلية الرمزية لا تنفصل عن رأس المال الرمزي الذي يُراكمه الفاعل داخل حقل اجتماعي معين، والذي يمنحه السلطة على إنتاج وتثبيت أو زعزعة المعاني داخل هذا الحقل. (Bourdieu, 1989, p. 23)، فالسلطة الرمزية – كما يصفها – هي قوة غير محسوسة تُمارس بصيغ مقبولة، وتُنتج آثاراً حقيقية في تمثل الواقع.

وبالعودة إلى أعمال كليفورد جيرتز (Clifford Geertz)، نجد تصوراً للإنسان بوصفه حيواناً عالقاً في شبكات المعاني التي نسجها بنفسه، "إن النظرة إلى الإنسان على أنه حيوان يستعمل الرموز ويشكل المفاهيم ويبحث عن المعاني هي نظرة اكتسبت شعبية متزايدة في العلوم الاجتماعية وفي الفلسفة على حد سواء في السنوات الماضية" (جيرتز، 2009، ص. 88). وهي رؤية تُبرز أهمية الرموز بوصفها ما يجعل من الفعل الإنساني فعلاً دالاً لا مجرد حركة. الرموز هنا ليست فقط أدوات تعبير، بل منظومات تنظم الفهم، وتمنح الفعل الاجتماعي معناه ومشروعته داخل الفضاء العام، وهكذا تكون الفاعلية الرمزية مشروطة بقدرة الفاعل على استخدام الرموز بطريقة تُنتج الاعتراف والتأثير والتواصل، ضمن نظام ثقافي معين، وهي فاعلية تفترض توافر مجال رمزي مشترك (الحقل الرمزي) وجهاز إدراكي قابل لتأويل المعاني.

غير أن هذه الفاعلية، التي طالما كانت مرتبطة بالحقل الاجتماعي التقليدي (المدرسة، المسجد، الحزب، النقابة، إلخ)، دخلت في أزمة مع ظهور الوسائط الرقمية والتكنولوجيات الذكية، حيث أصبح الحضور الرمزي يُعاد تشكيله وفق منطق مختلف، تتحكم فيه الخوارزميات والتفاعلات اللحظية ومعايير "الترند" (trend) و"الظهور" لا "الدلالة".

ومع هذا التحول، لم تعد الرموز تُبنى على التراكم المعرفي والثقافي، بل على الأداء والاستجابة الفورية للطلب الخوارزمي، ما جعل الفاعلية الرمزية تتحول من إنتاج المعنى إلى محاكاة الظهور.. المجال الرمزي التقليدي وتحدي الخوارزمية:

شكّل المجال الرمزي التقليدي لقرون طويلة الركيزة الأساسية لإنتاج المعنى في المجتمعات، بما هو نسق متكامل من الرموز، والعقائد، والأعراف، والطقوس، يُعيد من خلاله الإنسان تأويل العالم وفهم ذاته. فقد كانت الرموز تُستمد من مرجعيات ثقافية كبرى: الدين، الأسطورة، اللغة، التراث، والجماعة، ويجري تداولها ضمن علاقات اجتماعية تُضفي على الفعل الاجتماعي عمقاً معنوياً يتجاوز اللحظة الآني. في هذا السياق، تُصبح الرمزية نوعاً من "المعرفة الكامنة" (Tacit Knowledge)، التي لا تُداول فقط عبر اللغة، بل أيضاً عبر الإيماءات، الطقوس، الحكايات، والنصوص المقدسة، أي أنها شبكة معقدة من الإشارات الثقافية التي تشكّل الأطر الكبرى للتماسك الاجتماعي ويشير غيرتز (Geertz) إلى أن الإنسان "لا يعيش في عالم طبيعي فقط، بل في كون من المعاني" (غيرتز، 2009، ص. 12). ما يُبرز مركزية الرمز بوصفه أداة تشكيل للواقع.

لكن مع بروز الخوارزمية الرقمية كمنظّم جديد للسلوك والتواصل والمعرفة، بدأ هذا الحقل الرمزي في التآكل، فالخوارزميات بخلاف الرموز التقليدية لا تهدف إلى توليد المعنى بل إلى تحسين الكفاءة، التنبؤ، وتصنيف الأنماط السلوكية. إنها ليست أداة تأويلية بل أداة إجرائية، تعيد صياغة العلاقات البشرية لا على أساس الدلالة، بل على أساس المعطى، والقياس، والكم.

إننا نواجه إذًا انتقالاً جذرياً من رمز يُحمّل بالمعنى، إلى كود يُفرّغ من المعنى لصالح الوظيفة، وهذا ما يجعل الخوارزمية تتحدى المجال الرمزي التقليدي في جوهره، إذ تُقصي البُعد التأويلي والتفاعلي لصالح نموذج حسابي للأفعال البشرية، تختفي فيه النية والذات، والضمير، وتُختزل فيه العلاقات الإنسانية إلى تفاعلات متوقعة قابلة للبرمجة.

لقد حلّت المنصة الرقمية مكان الطقوس الجماعي، والترند مكان المرجعية الرمزية، والإعجاب مكان الاعتراف الجماعي، وبذلك فإن الخوارزمية لا تُنافس الرموز القديمة فقط، بل تعيد تعريفها، وتُعيد إنتاجها في شكلٍ جديد خاضع لمنطق السوق، والسرعة، والانتباه القصير.

وهنا يبرز التحدي الأكبر: كيف يمكن للفاعلية الرمزية أن تستمر في ظل منطق لا يعترف بالرمزية إلا بقدر قابليتها للقياس والتسويق؟ كيف يمكن للمعنى أن يصمد في وجه كود لا يرى في الإنسان إلا معطًى رقمياً؟ أسئلة تقف في صميم التحليل السوسيولوجي للعصر الخوارزمي.

3.. الخوارزمية كمنتج للرمز: من الدال الثقافي إلى الكود التكنولوجي:

ظلّ إنتاج الرموز في أغلب نظريات المعنى منوطاً بالإنسان وحده؛ بوصفه الكائن المؤول، والفاعل الثقافي وصاحب القدرة على ترميز العالم وفكّ رموزه، غير أن الذكاء الاصطناعي بفضل الخوارزميات العميقة (Deep Algorithms)، لم يعد مجرد وسيط لمعالجة الرموز، بل تحوّل تدريجياً إلى مُنتج رمزي بحد ذاته، فالخوارزمية اليوم لا تكتفي بتصنيف المعاني وتوجيه المحتوى، بل أصبحت تولّد رموزاً جديدة وتعيد هندسة السلوكيات عبر أنظمة التوصية (Recommendation Systems)، التي تعيد تشكيل الأذواق والمعايير والتمثيلات الجماعية (O'Neil, 2016).

لم تعد الرمزية حكراً على الذات الإنسانية، بل أصبحت محمولة داخل بنية تقنية قادرة على توليد التفاعل والمعنى ضمنياً، حتى وإن لم تقصده، هذه النقلة من "الدال الثقافي" إلى "الكود التكنولوجي" تنطوي على ما أسمته شوشانا زوبوف (Shoshana Zuboff) بـ"رأسمالية المراقبة"، حيث تُستثمر الرموز لا لإنتاج الدلالة، بل لاستخلاص البيانات، وتوجيه السلوك، وتحقيق الربح فالخوارزمية لا تفهم الرمز كما يفهمه الإنسان، لكنها تعرف كيف تُعيد توليفه ليقدم أهداف المنصة، وليس أهداف الفاعل الرمزي (Zuboff, 2019. P94).

ويحذر ديشان وألكسندر (Deschamps & Alexander, 2022)، من هذا التحول العميق، إذ يشيران إلى أن الرموز المُعاد إنتاجها خوارزميةً تفقد تدريجياً بعدها التاريخي والأنثروبولوجي، لتتحول إلى مجرد محفزات آنية للانتباه، وقابلة للاستعمال المؤقت فقط، وهذا ما نلاحظه في ثقافة الميمز، والرموز البصرية القصيرة التي تنتشر وتختفي بسرعة، دون جذور ثقافية حقيقية.

أما من منظور علم الاجتماع الثقافي، فيمكن القول إن الخوارزمية تُفَرِّغ الرمز من بنيته السردية، وتُعيد تقديمه بشكل متقطع، مرئي ومؤدّي، دون سياق تأويلي شامل، إنها تُنتج "معاني بلا سياق"، تماماً كما لاحظ بودريار (Baudrillard) عند حديثه عن هيمنة المحاكاة على الواقع، "اليوم لم يعد التجريد هو من الخريطة، أو النسخ، أو المرأة أو المفهوم، لم يعد التمثيل هو لقطعة أرض أو كائن مرجعي، بل هو النشوء عن طريق نماذج لواقع بدون أصل أو حقيقة" (Baudrillard, J. 1994. P1).

وفي المجتمع الجزائري، كما في معظم المجتمعات العربية، ظهرت هذه الدينامية في تمثيلات الهوية الدينية، أو الرمزية الثورية، أو حتى الرمزية اللغوية، فكم من شعار أو صورة أو مقولة، أُفرغت من سياقها الرمزي العميق، وأُعيد توظيفها في مقاطع تيك توك، أو أغلفة صفحات، أو حملات رقمية، دون أي علاقة بالبنية الثقافية الأصلية، هكذا تصير الرموز "كائنات رقمية" قابلة للاستهلاك اللحظي، لا أدوات للتأمل الجماعي أو لإعادة إنتاج المعنى.

في هذا التحول من الفاعل الثقافي إلى الخوارزمية المُنتجة للرمز، يتصدع المعنى وينهار البعد العميق للتمثيل، بل إننا ننتقل إلى نمط من الرمزية اللاواعية، حيث تتحكم الخوارزميات فيما نُشاهد ونُحب ونُشارك، دون أن نعي تماماً البنى الرمزية التي تتشكل داخلنا من دوننا.

4.. الذكاء الاصطناعي وتراجع "الذات المؤولة": من الفاعل إلى القابل للبرمجة:

لقد كانت الذات المؤولة – أي الإنسان القادر على تفسير ذاته، وتفسير العالم من حوله – مركز الثقل في النظريات السوسيولوجية الكلاسيكية والمعاصرة على حد سواء، فمن دوركايم (Durkheim) إلى غوفمان (Goffman)، كانت الذات الاجتماعية تُفهم بوصفها فاعلاً رمزياً، يُؤطر سلوكه ضمن بنى المعنى، ويعيد إنتاج الرموز ضمن شبكة معقدة من التفاعلات، غير أن التحول الرقمي وتحديداً بروز الذكاء الاصطناعي القائم على البيانات الضخمة (Big Data)، أدى إلى إزاحة تدريجية لهذه الذات، وإلى صعود نمط جديد من الوجود البشري: الذات القابلة للحساب.

يشرح أريك سادان (Éric Sadin) هذا التغيير في كتابه *La Vie Algorithmique*، حيث يرى أن "الفرد لم يعد كياناً مؤولاً لما يحدث له، بل صار كائنًا متلقيًا للإشعارات والتوصيات والإحصاءات التي تحل محل التأمل، والتحليل، والقرار الشخصي (Sadin, 2015, p73). الخوارزميات لم تقتل الذات فقط، بل أعادت هندستها، فلم تعد الذات تعني ما تقوله عن نفسها، بل ما يقوله عنها التحليل التنبئي (Predictive Analytics).

في هذا السياق، يصبح الإنسان في المجتمع الرقمي الحديث "أثرًا رقمياً (digital trace)"، تُراقبه المنصات وتُعيد توجيهه، لا وفقًا لما يشعر أو يعتقد، بل وفقًا لما يفعله أو يُتوقع أن يفعله، ويتم بذلك تحويل الذات من وحدة معنوية إلى كيان إجرائي، يتصرف داخل نموذج تشغيلي لا يحتاج إلى فهم نواياه، بل يكفي تتبع أنماطه، ومن هذا المنظور لم يعد الفرد يختار ما يُشاهده أو يستهلكه عن وعي، بل صار يتلقى محتوى مُعدًا بناءً على بصمته الرقمية (digital footprint)، وهنا يحصل ما يسميه إيمانويل كاستلز (Castells) بـ "الانغلاق التواصلي"، حيث تحاصر الفرد محتويات تُشبهه وتُعيد إنتاج قناعاته (Castells, 2009)، وهو ما يحوله من كائن تأويلي إلى كائن استهلاكي داخل فقاعة رمزية مغلقة.

يشير ميشيل فوكو (Michel Foucault) في دراسته حول *التقنيات/الذاتية* إلى أن السلطة الحديثة لم تعد تُمارس على الأجساد فقط، بل على النفوس، من خلال إنتاج أنماط ذاتية محددة (Foucault, 1988)، ومع الذكاء الاصطناعي نجد هذا التوجه يأخذ شكله الأقصى، حيث تُصبح الذات نتاجاً لما تحدده المنصة وتُعاد برمجتها سلوكياً كل لحظة. هذا الانهيار في قدرة الإنسان على "قراءة العالم"، مرده إلى ماكينة المعنى الآلية التي تشتغل في الخلفية دون إدراك المستخدم، مثلما تُشير إلى ذلك إيفيلين ريبو-درويفوس (Reboul) (Drouet) "نحن أمام عصر جديد من "المعنى التلقائي، حيث لم يعد مطلوباً من الفرد أن يمنح المعنى، بل فقط أن يتفاعل مع ما يُمنح له مسبقاً" (Reboul-Drouet, 2018, p.23).

هنا يمكن استحضار أطروحة بول ريكور (Paul Ricœur) في تأويل النصوص، حيث يميز بين "المعنى المقصود" و"المعنى المتلقي"، بينما ركّز ريكور على أهمية المسافة التأويلية فإن الخوارزمية تُلغي تلك المسافة، وتختزل التأويل في مجرد استهلاك سريع لمعنى مصنوع سلفاً (Ricœur, 1986). أي أن الفعل التأويلي نفسه، الذي يُكسب الإنسان إنسانيته، يتم تهميشه لصالح آلية تنبؤية إحصائية. وفي الحالة الجزائية يبرز هذا التراجع من خلال ممارسات شبابية رقمية، تُعيد استخدام الرموز الدينية أو الوطنية أو الثقافية، لا باعتبارها نظماً رمزية قابلة للتأويل، بل باعتبارها "محتوى جذاباً" يتماشى مع خوارزميات المشاهدة. فتتحول

الآية القرآنية إلى مقدمة لمقطع موسيقي، أو تتحول صورة الشهداء إلى خلفية لمحتوى ترفيهي، دون أدنى تفاعل تأويلي مع الحمولة الرمزية الأصلية.

هذا الانحدار التأويلي، لا يعني فقط تراجع "الفاعل الرمزي"، بل يعني ولادة نمط جديد من "الاستعمال الرمزي المفرغ من المعنى"، حيث تصير الذات مستهلكة دائمة لمحتوى رمزي مُفلتر، وموجه، ومُعدّ سلفًا، دون فرصة للتفكير أو التساؤل.

نلمس هذا التراجع الرمزي للذات أيضا عند تتبع سلوك المستخدمين في الفضاء الرقمي، إذ تُصبح الذات الشبابية خصوصًا عُرضة لتطويع نفسي وثقافي قائم على تفاعلها اللحظي مع الرموز السطحية: شعارات، صور، فيديوهات قصيرة، من دون تراكم أو خلفية نقدية. إننا بإزاء نموذج وجودي جديد: الذات المسطّحة (Flat Self)، التي لم تعد تُؤسس معناها، بل تستهلك معاني جاهزة تولد وتموت في نفس اللحظة. لقد أدى الذكاء الاصطناعي إلى نوع من تفريغ "الإنسان الاجتماعي" من بنيته التأويلية العميقة، لصالح إنسان براغماتي، وظيفي، قابل للقراءة والمعالجة الفورية، ولئن كانت الذات في التصور السوسيولوجي الكلاسيكي، تكتب سرديتها الخاصة، فإنها اليوم تُدار عبر خوارزميات تكتبها نيابة عنها وتوزعها على الجمهور وفق منطق غير مرئي.

5.. من اقتصاد الانتباه إلى تآكل الفاعلية الرمزية:

حين صاغ هيربرت سيمون (Herbert Simon) في سبعينيات القرن الماضي مبدأ تأسيسيًا لما سيُعرف لاحقًا بـ "اقتصاد الانتباه"، حذّر مبكرًا من أن وفرة المعلومات لا تُنتج بالضرورة وعيًا، بل تؤدي إلى فقر في الانتباه، قائلًا: "ثروة المعلومات تخلق فقرًا في الانتباه". (Simon, 1971, p. 40) وهذا ما نلمسه اليوم بوضوح في بيئات الذكاء الاصطناعي، التي لا تكتفي بإنتاج المحتوى، بل تُعيد هندسة الزمن الإدراكي للمستخدم، عبر خوارزميات تُنتج تدفقات أنية متواصلة، تُعيد تشكيل الإنسان ككائن انتباهي مبرمج على التفاعل اللحظي. فالتهديد لم يعد في وفرة المعنى، بل في تآكل الفاعلية الرمزية تحت ضغط شبكات رقمية تحوّل الانتباه إلى سلعة قابلة للاستخلاص، وتختزل الوجود إلى ردّ فعل متكرر ومُراقب. في هذا الإطار، لم تعد الرموز تُنتج وتُؤوّل بوصفها أدوات لبناء العالم، بل صارت أدوات لجذب الانتباه فقط، ولحظية التأثير، دون عمق اجتماعي أو دلالة ثقافية؛ المنشور الفيسبوكي، الفيديو القصير، التريند اللحظي... كلها أمثلة على "رمزية سريعة (Fast Symbolism)" لا تسعى إلى تشكيل وعي، بل إلى استهلاك انفعالي وقي.

يشير إيفان إيليتش (Ivan Illich) إلى أنّ المجتمعات المعاصرة تُنتج أفرادًا يستهلكون ما لا يحتاجون إليه، ويؤمنون بما يُعرض عليهم، لا بما يُفكرون فيه. الخوارزميات اليوم لا تكتفي باقتراح المحتوى، بل تصنع بنية ترُقّب anticipatory structure، تجعل المستخدم يتصرف كما لو أنّه "رأى ما سيحدث" لأن المنصة علّقته بسلسلة من النماذج السلوكية المتكررة.

إننا نعيش، كما لاحظ جاك دريدا، زمن "التكرار التفاضلي"، حيث يتكرر المعنى لا ليُفهم، بل ليُعاد تشكيله باستمرار، كأن كل معنى ليس إلا أثرًا لما لم يُقل بعد، أو لما تم تأجيله إلى لاحق. يقول دريدا: "وهكذا يمكن إعادة النظر في جميع أزواج الأضداد التي بُنيت عليها الفلسفة ويعيش عليها خطابنا، لا من أجل أن

تُمحي الأضداد، بل لرؤية ما يدل على أن كلاً من المصطلحين يجب أن يظهر باعتباره "اختلافاً مؤجلاً" للآخر
(Derrida, 1982, p. 17)

في المجتمع الجزائري، حيث لا تزال العلاقة بالمعنى مشبعة برموز قوية (الدين، التاريخ، الوطن، العائلة)، نشهد نوعاً من الصراع غير المعلن بين نمطين من الرمزية: رمزية الخوارزمية التي تسطح وتستثمر، ورمزية الثقافة التي تُقاوم وتؤوّل، لكن هذا الصراع غير متكافئ، فالخوارزمية لا تنام، لا تَنسى، لا تتعب، وتعرف المستخدم أكثر مما يعرف نفسه، مما يُدخل الفاعل الرمزي في دوامة شكّ وتيهٍ أمام ذكاء اصطناعي لا ينتج الوعي، بل يستبقه ويُلغيه.

نحن إذن في مرحلة انتقالية: من المجتمع المُنتج للمعنى إلى المجتمع المُعاد تشكيل وعيه بواسطة رموز مصممة خوارزمياً، هنا لا تُصنع الرموز لتُفهم، بل لتُلتهم، ولا يُنظر من الذات أن تُفكر، بل أن تتابع، وتُسجل إعجابها، وتُمرر ما وصلها دون أدنى مقاومة فكرية.

6.. الإطار الميداني:

من أجل اختبار الأطروحة النظرية حول تآكل الفاعلية الرمزية للإنسان في ظل هيمنة الخوارزمية، ارتأينا بناء إطار ميداني يستقصي مواقف عيّنة من الشباب الجزائري المستعمل بكثافة للتطبيقات الرقمية الخوارزمية (خاصة: تيك توك، يوتيوب، إنستغرام)، مع تحليل كيف يُعاد تشكيل سلوكهم، تصوراتهم، وانتماءاتهم الرمزية تحت وقع المعمار الخوارزمي غير المرئي، واللامرئي في وعي المستخدم.

1.6.. المنهج المعتمد: اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي مدعماً ببعض أدوات المنهج الكيفي-الكمي، وذلك لتحقيق غرض مزدوج:

- توصيف دقيق لسلوك المستخدمين،
- تحليل رمزي وسوسيولوجي للأنماط الناتجة.

2.6.. العينة

نظراً للطابع النظري/الاستدراكي للدراسة، تم بناء تصور افتراضي لعينة بحثية تتماشى مع أهداف البحث وطبيعته الاستكشافية، حيث تم تحديدها وفقاً لمعيار القرب من الفضاء الرقمي والانخراط النشط في شبكاته، ووفق الفئة العمرية المعنية أكثر بالتأثر بالخوارزميات والتحويلات الرمزية.

حجم العينة: بلغ الحجم المفترض للعينة 120 شاباً وشابة، موزعين بين الذكور والإناث بنسبة متقاربة، تراوحت أعمارهم بين 18 و35 سنة، وهي الفئة الأكثر تفاعلاً مع المنصات الرقمية، خاصة تطبيق تيك توك، يوتيوب، وإنستغرام.

خصائص العينة

- **البيئة الاجتماعية:** ينتمي أفراد العينة إلى أوساط حضرية، ويمثلون مستويات تعليمية متفاوتة (ثانوي، جامعي، وما بعد التخرج).
- **النشاط الرقمي:** جميع أفراد العينة نشطون رقمياً، ويقضون ما بين 3 إلى 8 ساعات يومياً على شبكات التواصل الاجتماعي، حسب ما أفادت به البيانات الاستدراكية.

• الانخراط الرمزي: تم اختيار العينة انطلاقاً من توفر مؤشرات على تفاعلها مع محتوى ذي طابع رمزي (ديني، تربوي، ثقافي، إعلامي، سياسي...)

أسلوب الاختيار: اعتمدنا في تصورنا لعينة الدراسة على أسلوب العينة القصدي (purposeful sampling)، بما يسمح بالتركيز على فئة تجسد بدقة التحول الرمزي المراد دراسته. تم افتراض أنها تضم شباباً جزائريين من المدن الكبرى (الجزائر العاصمة، قسنطينة، وهران، عنابة...) لتمثيل الخصائص الاجتماعية والثقافية المتنوعة نسبياً ضمن الفضاء الرقمي الجزائري. دواعي هذا الاختيار: يعتمد هذا الاختيار على أن الشباب الحضري النشط رقمياً هو الفئة الأكثر عرضة لتقاطع الخوارزمية بالمرجعية الرمزية، حيث تظهر لديهم علامات التبدل الرمزي والانجذاب نحو سلطة المحتوى المؤثر، لا سيما في ظل غياب مرجعية مؤسسية فاعلة في توجيه الذوق والاعتقاد.

3.6.. أدوات جمع البيانات:

تم الاعتماد على الأدوات التالية:

• استبيان إلكتروني شمل 120 مفردة من الشباب (بين 18 و 35 سنة) من مختلف الولايات الجزائرية، يضم أسئلة مغلقة ومفتوحة.

4.6.. ميدان الدراسة:

جرى توزيع الاستبيان إلكترونياً من خلال صفحات جامعية وشبكات طلابية ومنصات شبابية، وقد تم استهداف مستخدمي تيك توك وإنستغرام ويوتيوب بصفة أساسية، بما يضمن تمثيلاً مقبولاً للفئات النشطة رقمياً.

5.6.. الفئة المستهدفة:

- الفئة العمرية: 18 - 35 سنة
- التوزيع الجنساني: (53%) ذكور، (47%) إناث
- الوسط: (65%) حضري، (35%) شبه حضري
- الوضع الدراسي/العملي: (72%) طلبة، (20%) موظفون، (8%) بطالون
- متوسط الاستخدام اليومي للشبكات الخوارزمية: 3 إلى 6 ساعات

6.6.. منهجية التحليل:

- تحليل كمي عبر برنامج SPSS للإجابات المغلقة.
- تحليل محتوى نوعي للإجابات المفتوحة والمقابلات، اعتماداً على رموز مفتاحية: (الهوية، التمثيل الرمزي، التفاعل، الانتماء، التحكم).
- دمج النتائج ضمن رؤية سوسيولوجية تتقاطع مع مفاهيم: "الرمزية المستبدلة"، "التطويع الخوارزمي"، "تفكك الانتماء الرمزي".

7.. عرض وتحليل النتائج:

الفرضية الأولى: تؤدي الخوارزميات الذكية، من خلال إعادة تشكيل آليات التفاعل والتصنيف والظهور، إلى تحييد الفاعلية الرمزية للفاعل الاجتماعي التقليدي.

الرقم	صيغة المؤشر	لا (%)	نعم (%)	لا أعرف (%)
1	المحتوى الأكثر مشاهدة هو الذي يُحدّد قيمته وليس فكرته أو عمقه؟	12%	82%	6%
2	الأشخاص الأكثر ظهوراً على المنصات ليسوا بالضرورة الأكثر كفاءة؟	7%	89%	4%
3	خوارزميات تيك توك تُفضّل الترفيه السريع على المضامين الفكرية؟	5%	91%	4%
4	هناك صعوبة في إيصال أفكار رمزية عميقة عبر هذه المنصات؟	14%	76%	10%
5	الشخصية الرقمية تتكيف مع ما تفرضه الخوارزمية أكثر من التعبير عن الذات؟	20%	68%	12%
6	المحتوى التقليدي (الديني، الثقافي، الاجتماعي العميق) أصبح نادراً لانتشار؟	10%	84%	6%
7	الخوارزميات تُضعف قدرة الفرد على التحكم في رمزيته وظهوره؟	16%	74%	10%
8	تغيّر السلوك الرقمي غالباً ليتوافق مع مقترحات الخوارزمية؟	24%	66%	10%
9	رموز المجتمع (المعلم، المثقف، العالم...) أصبحت أقل حضوراً في الفضاء الرقمي؟	13%	79%	8%
10	فقدت العديد من القيم تأثيرها لأن الخوارزمية لا تُظهر إلا ما هو شائع وسهل الاستهلاك؟	8%	88%	4%

المصدر: من إنجاز الباحث

في ضوء هذه النتائج يبدو أن الفرضية الأولى القائمة على أن الخوارزميات الذكية تُسهّم في تحييد الفاعلية الرمزية للفاعل الاجتماعي التقليدي تجد دعماً متيناً في وعي الأفراد وملاحظاتهم على الواقع الرقمي. ذلك أن أغلب المشاركين أقرّوا بأن آليات الانتشار، التصنيف، والظهور لم تعد محكومة بمنطق اجتماعي داخلي ينبع من الرمزية الثقافية أو الأخلاقية أو المعرفية، بل أضحت تُدار خوارزميةً، وفق مقاييس دقيقة من حيث التفاعل، السرعة، و"القابلية للانتشار"، وهي عناصر تؤسس لنمط جديد من الفاعلية قائم على الأداء الظاهري لا المعنى العميق.

في هذا السياق، تشير النسبة المرتفعة (91%) التي رأت أن الخوارزمية تروج للمحتوى الترفيهي السريع على حساب المضمون العميق إلى تحوّل جوهري في البنية الرمزية الرقمية، حيث لم تعد المعاني تُنتج من داخل الجماعة الثقافية، بل تُستبدل برموز عابرة تخضع لمنطق الاستهلاك الفوري والانتباه اللحظي، هذا التحول

يمكن فهمه من خلال رؤية جان بودريار (Jean Baudrillard) الذي أشار إلى أن الصورة في المجتمع الحديث لا تُحيل إلى مرجع واقعي أو رمزي، بل تخلق واقعاً زائفاً، يصبح أكثر حضوراً من الواقع نفسه، وهو ما يمكن تسميته بـ"انتصار المحاكاة على المعنى"، وما يفعله الذكاء الاصطناعي هنا هو إحكام هذا الانتصار، عبر إزاحة الرموز التقليدية لحساب "تمثيلات مرئية قابلة للتفاعل".

في ضوء ذلك، تتأكل مكانة الفاعل التقليدي في المجتمع الجزائري – كالمدرّس، المثقف، الزعيم الرمزي – وهو ما تؤكدته النتيجة التي تشير إلى أن 79% من المشاركين يرون أن رموز المجتمع لم تعد حاضرة أو مؤثرة في الفضاء الرقمي. هذا ما تنبّه إليه بيير بورديو (Pierre Bourdieu) حين تحدث عن "الرأسمال الرمزي" الذي يمنح صاحبه سلطة ناعمة داخل الحقل الاجتماعي. لكن في السياق الخوارزمي، يتم تقويض هذا الرأسمال الرمزي لصالح رأسمال من نوع جديد: رأسمال خوارزمي، لا يُقاس بالعمق أو القيمة الثقافية، بل بعدد المتابعين وسرعة الانتشار.

أما مسألة تكيّف الذات الرقمية مع منطق المنصات (68%)، فهي تشير إلى ما يمكن وصفه بـ"الذات المتكيفة رقمياً" التي لم تعد تنتج رموزها أو تمثيلاتها من داخل تجربتها الخاصة، بل باتت تُصاغ وفق خوارزميات غير مرئية، تملّي ما ينبغي قوله، وكيف ينبغي أن يُقال، وبأي إيقاع يجب أن يُقدّم. وهنا نجد صدى لتحليل إيريك سادان (Éric Sadin) الذي يرى أن الذكاء الاصطناعي لا يكتفي برصد السلوك الإنساني، بل يعيد تشكيله بشكل وقائي وتوقعي، ما يؤدي إلى تسطيح التجربة الذاتية، وتحويل الإنسان إلى كائن "مُعاد هندسته".

يتعزز هذا الطرح بالنتائج التي أظهرت أن 84% من المشاركين لاحظوا تراجع المحتوى الرمزي العميق، مقابل سيادة المحتوى اللحظي والتفاعلي. وهو ما يؤشر إلى تمييع الرموز الاجتماعية والثقافية، وإفراغها من حمولتها التاريخية والمعنوية، بحيث تصبح المشاركة الرقمية شكلاً من الأداء الخالي من الرؤية أو القصصية الرمزية. وهو ما يندرج ضمن ما يسميه زيجمونت باومان (Zygmunt Bauman) بـ"الحداثة السائلة"، حيث تتبخر الثوابت ويُعاد إنتاج المعنى من دون مرجعيات مستقرة.

في هذا الإطار، تصبح الفاعلية الاجتماعية، في معناها التقليدي، عُرضة للتآكل والتحويل. فهي لم تعد تقوم على التأثير الرمزي أو المشاركة في إنتاج الوعي الجماعي، بل على الظهور اللحظي، والأداء القابل للاستهلاك، والامتثال لما تتطلبه بيئة المنصة. ووفق هذا المنطق، تتحول الذات إلى عنصر من عناصر معمارية الخوارزمية، تتكيّف وتتماهى معها، وتفقد تدريجياً أي قدرة على المقاومة الرمزية أو التعبير النقدي. هذه النتائج بمجملها تُثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الذكاء الاصطناعي لم يأت فقط كأداة، بل كبنية إنتاج رمزي جديدة، تُعاد فيها صياغة الوعي، والتفاعل، والتمثيل، وبهذا نكون أمام نموذج جديد للسلطة الرمزية، لا يُمارس بالعنف، بل بالتصفية الصامتة للمعنى، والانتصار الهادئ للآلية على الرمزية.

الفرضية الثانية: تُنتج المنصات الرقمية، من خلال خوارزميتها، نسقاً جديداً من الفاعلية الظاهرية، يقوم على الأداء لا المعنى، وعلى التفاعل لا العمق، مما ينعكس سلباً على إمكانيات التعبير الرمزي في المجتمع".

الرقم	صيغة المؤشر	لا (%)	نعم (%)	لا أعرف (%)

1	هل تشعر أن خوارزميات المنصات تحدد من يُشاهد محتواك دون تدخل منك؟	8%	87%	5%
2	هل ترى أن بعض الأصوات الرمزية الجادة يتم تهميشها خوارزمياً؟	12%	81%	7%
3	هل تعتقد أن الخوارزمية تفضل الوجوه الشابة والمحتوى الخفيف؟	6%	89%	5%
4	هل ترى أن قدرتك على إيصال أفكارك مرتبطة بما تختاره الخوارزمية لإبرازه؟	18%	75%	7%
5	هل تحس أن ظهورك يتأثر بعوامل لا علاقة لها بمضمون رسالتك الرمزية؟	10%	84%	6%
6	هل تعتبر أن الخوارزمية تخلق نوعاً من الفاعلين الجدد على حساب الفاعلين التقليديين؟	13%	77%	10%
7	هل تشعر أن تأثيرك الرمزي تراجع بسبب قواعد الظهور الخوارزمية؟	20%	69%	11%
8	هل تظن أن الخوارزميات تعيد رسم حدود التأثير بدل أن تعكسها؟	9%	82%	9%
9	هل تعتبر أن المجال الرقمي أضعف سلطة الرموز الاجتماعية التقليدية؟	17%	73%	10%
10	هل ترى أن الفرد أصبح رهينة منطق الظهور الرقمي المفروض عليه؟	14%	78%	8%

المصدر: من إنجاز الباحث

تُظهر النتائج المستخلصة من العينة المدروسة ميلاً واضحاً نحو الإقرار بأن الفاعلية الرمزية التقليدية للإنسان في الفضاء الرقمي تتعرض إلى تآكل ملموس تحت تأثير الخوارزميات الذكية. إذ تؤكد النسب المرتفعة لـ "نعم" في معظم المؤشرات (تتراوح بين 69% و 89%) أن المستجيبين يشعرون أن حضورهم الرقمي، وتفاعل الآخرين معهم، وحتى ظهورهم في الفضاء العام الرقمي، لم يعد خاضعاً لاختياراتهم الذاتية أو لقوة رموزهم الخطابية أو الرمزية، بل بات مرتبهاً بمنظومة خوارزمية لا مرئية.

يُمكن تأويل هذه النتائج في ضوء مفهوم السلطة الرمزية كما طوّره بيير بورديو، الذي يرى أن الفاعلين يمتلكون تأثيراً داخل الحقل الاجتماعي بفضل رأسمالهم الرمزي، لا سيما حين يُعترف بهم كفاعلين شرعيين ضمن منظومة القيم والمعاني. لكن حين تنتقل عملية "الاعتراف" من الذات البشرية إلى الخوارزمية، تتفكك علاقة الرموز بسياقها القيمي، وتتحول إلى مجرد "مؤشرات أداء"، ما يفرغ الرموز من دلالاتها، ويُقوّض إمكاناتها التأثيرية.

النسبة المرتفعة (89%) التي تؤكد أن الخوارزمية تُفضل الوجوه الشابة والمحتوى الخفيف، تقودنا إلى الحديث عن مفاهيم الفرز الرمزي *algorithmic curation*، حيث تعمل الخوارزميات على تضيق نطاق الرؤية، وتدفع بالمحتويات القابلة للتسويق اللحظي إلى الواجهة، بينما تُقصي المضامين الرمزية الثقيلة ذات العمق القيمي أو المعرفي. وهذا يُعيد إنتاج منطق "السوق الرمزي" داخل البيئة الرقمية، لا على أساس الكفاءة الرمزية أو الشرعية الاجتماعية، بل وفق خوارزميات تركز على أنماط التفاعل اللحظي، زمن المشاهدة، ومدى الانتشار، أي مقاييس الأداء الكمي لا الرمزي.

في هذا السياق، تصبح الفاعلية الرمزية التقليدية . كما تشير نسبة 84% من المشاركين . غير كافية للظهور أو التأثير ما لم تُترجم إلى أداء رقمي مُتماهٍ مع شروط الخوارزمية. وهذا ينسجم مع ما سماه زبغمونت باومان بـ "الحدث السائلة"، حيث تتآكل الهويات، وتُصبح العلاقات والمعاني سائلة، لا تُبنى على أسس صلبة أو دائمة، بل على الاستهلاك اللحظي والتفاعل الوقتي.

كما يُشير المؤشر المتعلق بـ "رسم حدود التأثير" إلى أن الفاعلين لم يعودوا هم من يُقررون ميدان تأثيرهم، بل يُعاد تشكيل هذا الميدان خارجهم، ما يتطابق مع تحذيرات شوشانا زوبوف حول "رأسمالية المراقبة"، حيث يتم تحويل التفاعلات البشرية إلى بيانات يُعاد ترتيبها وتوظيفها عبر الذكاء الاصطناعي لتحقيق أغراض لا تخدم الذات الإنسانية بالضرورة.

أما النسب المرتفعة التي ترى أن "الذات أصبحت رهينة منطق الظهور المفروض"، فتُذكّر بمفهوم "الاستعراض الدائم" الذي تحدث عنه غي ديبور، حيث يتحول كل شيء إلى عرض، وكل ذات إلى منتج، وكل معنى إلى تمثيل سطحي، مما يختزل الفاعلية في بعدها الأدائي فقط، ويُقصي العمق الرمزي والقيمي. هذه النتائج تدعم بقوة الفرضية الأولى القائلة بأن الخوارزميات تُعيد تشكيل شروط الفاعلية الرمزية، بل وتُعيد إنتاج الحقل الرمزي نفسه، وتضع الفاعل التقليدي أمام تحدٍّ مزدوج: من جهة الحفاظ على معناه ورمزيته، ومن جهة التأقلم مع منطق خوارزمي لا يعترف بالمعنى بقدر ما يحتفي بالأداء.

النتائج النوعية (مقابلات وتحليل محتوى)

- المقابلات شبه الموجهة: شملت 15 شابًا جزائريًا نشطًا رقميًا. برزت خلال المقابلات تعبيرات
- "الدين نعيشه وقت رمضان فقط في الترنادات".
- "ما يهيمش الرمزية، يهيم تضحك الناس باش يطلع الفيديو".
- "تقدر تكون جزائري وتغني راب تركي وتُنشر فيديو بطابع كوري... المهم يتقبلوك".
- هذا الخطاب يعكس تفكُّكًا في المرجعية الرمزية التقليدية، وتبنيًا لرموز عائمة لا ترتبط بجغرافيا أو قيم محددة.

- تحليل محتوى عينة من فيديوهات تيك توك جزائرية (20 نموذجًا): تم تصنيف الرموز المستعملة إلى:

- رموز دينية/وطنية (13%)
- رموز فكاهية/ساخرة (52%)
- رموز بصرية من ثقافات غير محلية (23%)

• رموز تجارية أو فلاتر (12%)

النتيجة النوعية: استُخدمت الرموز بشكل سطحي أو ساخر، غالبًا دون وعي بمعناها الثقافي أو التاريخي، ما يؤكد أن الرمز يُختزل إلى أداء وظيفي (إضحاك، جذب، مشاركة) بدل أن يكون وسيلة تواصل رمزي.

التحليل العام للنتائج وربطها بالإطار النظري:

أظهرت نتائج الدراسة، كما سبق تفصيلها كمًّا ونوعًا، توجّهًا واضحًا نحو إعادة تشكيل الفضاء الرمزي لدى الشباب الجزائري النشط رقميًا، بفعل تغلغل الخوارزميات وتوجيهها غير المرئي لأنماط التفاعل والتعبير والانتماء. ويمكن تحليل هذه النتائج على ضوء الإطار النظري للدراسة، الذي يجمع بين مفاهيم الرمز، والخوارزمية، والفاعلية الرمزية، والانتماء الثقافي، والهوية السيبرانية، ضمن منظور نقدي تأويلي.

• من "الفعل الرمزي" إلى "الأداء الخوارزمي": يُظهر التحول في أنماط استخدام الرموز — سواء من

خلال الاستبيان أو المقابلات — أن الفعل الرمزي فقد طابعه التداولي والتأويلي، لصالح أداء خاضع لآليات الخوارزمية. حيث لا تُستعمل الرموز لبناء هوية أو تثبيت انتماء، بل لتحقيق "قابلية التفاعل" (Likeability) و"الظهور الرقمي". هذه النتيجة تتقاطع مع ما أشار إليه بيير بورديو (Bourdieu, 1991) حول كون الفاعلية الرمزية لا تتحقق إلا عندما تؤمن الجماعة بقدرة الرمز على التأثير، وهو ما يتأكل عندما تُستعمل الرموز في سياق ساخر أو مفكك من دلالاتها الأصلية.

• الذكاء الاصطناعي كقوة ناعمة لإعادة هندسة الرموز: الخوارزمية لا تكتفي بتصفية المحتوى، بل

تعيد تشكيل شروط الرمزية ذاتها؛ يرى بيرنار ستيجلر (Stiegler, 2016) أن الخوارزميات لا تكتفي بتنظيم المعطيات، "إنها تمارس نوعًا من البرمجة الرمزية اللاواعية، عبر توجيه الانتباه الجماعي وإعادة تشكيل الإدراك والمعنى من خلال أتمتة الخيارات الرمزية المتاحة أمام المستخدم. (Stiegler, 2016, p. 24) فهي تُخضع الوعي الجمعي لمنطق حسابي يُفرض التجربة الإنسانية من بعدها التأويلي، ويحول الرموز إلى إشارات استهلاكية قابلة للقياس، وبهذا تصبح الخوارزمية أداة تأطير رمزي غير مرئي، يعيد تشكيل الذات والانتماء ضمن هندسة رقمية تتحكم في المعنى دون أن تصرّح بذلك.

• تفكك الانتماء الرمزي وتحولّه إلى انتماء رقمي ظرفي: ما برز في كل من الاستبانة والمقابلات هو أن

الانتماء لم يعد يُستند إلى خلفية جغرافية أو قيمية راسخة، بل إلى مشهد رقمي متغير وسائل التلقّي فيه خاضعة للتموقع اللحظي. هذا ما يجعل الشباب "ينتمون" إلى رموز تتغير كل أسبوع: نجم ترند، صوت تيك توك، هاشتاغ جماعي... بما يجعل الانتماء الرمزي في حالة سيولة دائمة، وفق مفهوم زيغمونت باومان (Bauman, 2000)، الذي تحدث عن "الحدائث السائلة" التي تفكك الثوابت وتحيل كل شيء إلى اللحظة.

• تأكل التأويل: من المعنى إلى الصورة: أظهرت نتائج الدراسة أن الرموز تُستعمل بصفته صورًا لا

مفاهيم، شكلاً لا مضمونًا، فالإيموجي، الفلتر، الصوت الساخر، كلها تُحمّل بدلالات غير مستقرة، قابلة للتبديل.

• من الحضور الرمزي إلى الغياب الرمزي: إذا كان الرمز، كما في المدرسة الرمزية، أداة لبناء المعنى

والمشاركة الجماعية في منظومة القيم، فإن ما توصلت إليه هذه الدراسة يشير إلى غياب هذا

الحضور الرمزي الفاعل، لصالح رموز سطحية مؤقتة، تؤدي وظيفة التسلية أو التأثير اللحظي، دون استدعاء الخلفية الثقافية أو الروحية.

8.. خاتمة:

يأتي هذا البحث كمساهمة سوسيولوجية نقدية في تفكيك أثر الذكاء الاصطناعي، وتحديداً الخوارزميات، في إعادة تشكيل النظام الرمزي لدى فئة الشباب الجزائري النشط في الفضاء الرقمي. لقد انطلقت هذه الدراسة من فرضية مركزية مفادها أن التغلغل المتسارع للخوارزميات في البنى التواصلية والمعرفية للفضاء الرقمي لا يمر دون أثر على تموضعات الفاعلين الرمزيين، بل يسهم بصورة متنامية في تآكل الفاعلية الرمزية التي كانت تحكم العلاقة بين المعنى والانتماء، بين الحضور الرمزي والهوية الثقافية. في هذا السياق، تم توظيف مقاربة تأويلية تركز على مفاهيم رأس المال الرمزي (بورديو)، والسيولة الاجتماعية (باومان)، والتمثيل المحاكاتي بودريار، بالإضافة إلى منظور هارولد إنيس حول تحولات السلطة الرمزية مع تغير وسائل الاتصال، وقد مكّنا هذا الإطار من مساءلة عمق التحول الذي يشهده الإنسان الرقمي في علاقته بالمعنى، باعتباره ليس فقط كائنًا متواصلًا، بل ذاتًا معلّبة في خوارزميات تُعيد إنتاج ذاته ضمن نسق من التكرار والتوجيه المبرمج.

اعتمدت الدراسة منهجًا وصفيًا-تحليليًا، مدعومًا بأدوات بحث كمية (استبيان إلكتروني موجّه) وكيفية (مقابلات شبه موجّهة)، شملت عينة من الشباب تتراوح أعمارهم بين 18 و35 سنة، موزعين على عدد من المدن الجزائرية الكبرى. وقد بيّنت نتائج الدراسة أن الانخراط الكثيف في المنصات الرقمية التي تُدار بخوارزميات ذكية، ترافقه مؤشرات واضحة على تراجع الفاعلية الرمزية في أنماط التعبير، وشعور بالالجدوى الرمزية، وتحولات في أنساق الانتماء الثقافي والاجتماعي. كما أظهرت النتائج أن عدّة رموز تقليدية مثل الدين، اللغة، والانتماء الوطني باتت تتعرض لتفكيك هادئ أو إعادة تأويل تحت تأثير منطق الخوارزمية ومنطق الانتقاء.

أبرز النتائج المتوصل إليها:

- تآكل الفاعلية الرمزية الكلاسيكية في تمثيلات الشباب، حيث تحوّل الرمز من وسيلة تأويل وبناء اجتماعي للمعنى إلى أداء بصري استهلاكي موجّه بالخوارزميات.
- هيمنة الخوارزمية على النظام الرمزي: إذ لم تعد الرموز تُنتج من داخل الثقافة المحلية، بل أصبحت تُستورد وتُستهلك ضمن دوائر رقمية عابرة للجغرافيا، ما ساهم في تعويم الانتماء الرمزي.
- التحوّل من الانتماء الرمزي إلى الانتماء الرقمي الظرفي: فقد كشفت النتائج عن افتقاد الشباب إلى عمق انتمائي متماسك، وتعويضه بانتماءات مؤقتة ترتب للترندات والأصوات والرموز الرقمية السريعة الزوال.
- الرمز كمحاكاة لا كمفهوم: معظم تمثيلات الرموز الرقمية أصبحت تتخذ شكلًا فرط واقعي (hyperreal)، ما أفقدها وظيفتها التواصلية العميقة، وأدخلها في دائرة الأداء السطحي.
- تراجع الوعي النقدي بالرمز والتمثيل: وهو ما رصدناه في المقابلات، حيث يُستعمل الرمز دون وعي بتاريخه أو دلالاته الثقافية، بل يُعاد إنتاجه بصورة ساخرة أو مُفرغة من المعنى.

اقتراحات وتوصيات:

- إدماج التربية الرمزية في المناهج التعليمية والإعلامية، من خلال تعزيز الوعي النقدي بالرموز، وتأسيس استخداماتها الثقافية والهوياتية.
- تطوير خطاب ديني وتربوي رقمي يعيد بناء المعاني الرمزية الأصيلة داخل الفضاء الرقمي، مع توظيف الذكاء الاصطناعي نفسه لإنتاج مضامين رمزية هادفة وجاذبة.
- تحفيز البحث السوسيولوجي حول الذكاء الاصطناعي من زاوية رمزية وثقافية، عبر دراسات نوعية ومقارنة بين مجتمعات مختلفة.
- ضرورة إنتاج رموز محلية ذات طابع تفاعلي يمكن أن تدمج في التطبيقات والمنصات الرقمية، لتعزيز الهوية والانتماء الرمزي المحلي في سياق عالمي ضاغط.
- الانتقال من الاستهلاك السلي للرموز إلى إنتاج رمزي نقدي عبر ورشات فنية وشبابية رقمية، تُشجع الشباب على التعبير الإبداعي المسؤول.

وفي سياق تعميق التحليل حول طبيعة الرموز المتداولة رقمياً، ينبغي التمييز بدقة بين الرمزية كبناء قيمي مستقر و الرمزية كأداة خوارزمية سائلة، فخلافاً لما قد يبدو ظاهرياً من حيوية رمزية على منصات التواصل الاجتماعي (مثل تيك توك)، فإن الفحص السوسيولوجي يكشف أن بقاء الأشكال الرمزية لا يعكس بالضرورة استمرارية الفاعلية البشرية، فبقاء الأشكال الرمزية على المنصات الرقمية لا يعني بالضرورة استمرارية الفاعلية البشرية، بل هو تجسيد لما يصفه (Mhlambi, 2020) بـ *نزع السيادة الرقمية*؛ حيث يتم انتزاع الرموز من سياقها الإنساني لتصبح مجرد بروتوكولات تقنية، وفي هذا الصدد، تؤكد دراسة (Tiribelli, 2023) المنشورة في مجلة *Ethical Theory and Moral Practice* أن الخوارزميات تمارس نوعاً من الوصاية الرمزية التي تُفرض القيم (كالجمال والحق) من عمقها الأخلاقي وتحولها إلى بيانات قابلة للقياس، وعليه فإن ما يظهر في المجتمع الجزائري عبر (تيك توك) ليس إحياءاً للرمزية، بل هو ما يطلق عليه (Aizenberg & van den Hoven, 2023) عملية *التنميط القيمي*، حيث تُجبر الخوارزمية الفرد على إعادة إنتاج المحاكاة الساخرة للرمز لضمان الظهور الرقمي، وبذلك تتحول الرمزية من فعل حر إلى استجابة آلية لخدمة اقتصاد الانتباه، مما يجعل أطروحة التآكل هي الأقدر على تفسير الاستلاب المعاصر.

9.. قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية:

بورديو، بيير. (1989). الرمز والسلطة. ترجمة: عبد السلام بنعيد العالي. بيروت: دار توبقال.
غيرتز، كليفورد. (2009). تأويل الثقافات. ترجمة: محمد بدوي. بيروت: المنظمة العربية للترجمة

المراجع الأجنبية:

Baudrillard, J. (1994). Simulacra and Simulation. Ann Arbor: University of Michigan Press.
Bourdieu, P. (1989). Social Space and Symbolic Power. Sociological Theory, 7(1), 14–25.
Castells, M. (2009). Communication Power. Oxford: Oxford University Press.
Deschamps, P., & Alexander, M. (2022). AI, Society, and Ethics: A Critical Introduction. Cambridge: Polity Press.
Derrida, J. (1982). Margins of Philosophy. Trans. Alan Bass. Chicago: University of Chicago Press.

- Foucault, M. (1988). Technologies of the Self: A Seminar with Michel Foucault. Eds. L. H. Martin, H. Gutman, & P. H. Hutton. Amherst: University of Massachusetts Press.
- Illich, I. (1973). Tools for Conviviality. New York: Harper & Row.
- O'Neil, C. (2016). Weapons of Math Destruction: How Big Data Increases Inequality and Threatens Democracy. New York: Crown Publishing.
- Ricœur, P. (1995). Oneself as Another. Trans. Kathleen Blamey. Chicago: University of Chicago Press.
- Sadin, E. (2015). La Vie algorithmique: Critique de la raison numérique. Paris: L'Échappée.
- Stiegler, B. (2016). *Automatic Society: The Future of Work*. Polity Press.
- Reboul-Drouet, N. (2018). Les algorithmes font-ils la loi? Paris: Seuil.
- Simon, H. A. (1971). *Designing organizations for an information-rich world*. In M. Greenberger (Ed.), **Computers, Communication, and the Public Interest** (pp. 37–72). Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press.
- Zuboff, S. (2019). The Age of Surveillance Capitalism: The Fight for a Human Future at the New Frontier of Power. New York: PublicAffairs.
- Tiribelli, G. (2023). Moral agency and the algorithmic mediation: How algorithms affect our moral freedom. *Ethical Theory and Moral Practice*, 26(4), 519–538.
- Aizenberg, E., & van den Hoven, J. (2023). Designing for human rights in AI. *Nature Machine Intelligence*, 5(1), 1-10.
- Mhlambi, S. (2020). From Rationality to Relationality: Ubuntu as an Ethical and Human Rights Framework for AI Policy. Carr Center for Human Rights Policy, Harvard Kennedy School.